https://farid.ps/articles/the_omnipotence_paradox/ar.html

مفارقة القوة العظمى

عندما يرى الناس الدمار في غزة، يطرح السؤال غالبًا: **إذا كان الله قادرًا على كل شيء، فلماذا يسمح بهذا؟** إنها مشكلة الشر القديمة، التي تتفاقم بصور الأطفال مدفونين تحت الأنقاض والعائلات التي تنعى خسائر لا يمكن تسميتها. في الماضي، صيغت المشكلة فلسفيًا على النحو التالي: **هل يستطيع الله خلق صخرة ثقيلة لدرجة أنه لا يستطيع رفعها؟** في غزة، لم تعد المفارقة أكاديمية. إنها ملموسة وحسية. إذا كان الله قادرًا على إنهاء القتل، فلماذا لا يفعل؟

القرآن والتقليد الإبراهيمي الأوسع يقدمان إجابة مفاجئة: الله لا يتصرف بطرق تتعارض مع مبادئه المعلنة. قوته بلا حدود، لكن عدالته مبدئية. الإله العظيم ليس طاغية يلوي الأخلاق حسب إرادته؛ بل إنه يريد فقط ما يتماشى مع العدالة والرحمة التي أعلنها. هذه هي **مفارقة القوة العظمى**: قوة الله تظهر ليس في كسر قوانينه الخاصة، بل في التمسك بها، حتى عندما يترك ذلك الشر البشري دون رادع.

التزام الله الذاتي: تكلفة الثبات

يعلن القرآن:

> مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا
> - سورة المائدة 5:32

يردد التقليد اليهودي هذا في مبدأ **بيكواخ نيفش** - الالتزام بإنقاذ الحياة الذي يتجاوز تقريبًا كل وصية أخرى. يعمق التلمود هذا في **سنهدرين 90أ**، حيث ترتبط الحفاظ على الحياة بأساس العدالة الإلهية. يصف كل من **السنة** الإسلامية و**البريت** (العهد) اليهودي إلهًا يلتزم بالوفاء العلاقاتي بدلاً من التصرف بالقوة الغاشمة.

التدخل الكارثي - القضاء على المعتدين بشكل جماعي - سيؤدي إلى تفكيك النظام الأخلاقي الذي يدعمه الله. سيحول الخالق إلى الفوضى التي يكرهها. بدلاً من ذلك، يوضح القرآن:

> وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا
> - سورة الحج 22:40

الطريقة المفضلة لدى الله ليست الإبادة الأحادية بل التقييد المتوسط - **ردع بعضهم ببعض**. هذه هي المفارقة في العمل: القوة العظمى مقيدة طواعية بالمبدأ.

يعكس التقليد المسيحي هذا المبدأ من الثبات الإلهي. في جثسيماني، وبخ يسوع أتباعه:

> رُدَّ سَيْفَكَ إِلَى مَكَانِهِ، فَإِنَّ كُلَّ الَّذِينَ يَأْخُذُونَ السَّيْفَ بِالسَّيْفِ يَهْلِكُونَ
> - متى 26:52

قوة مقيدة بالمبدأ، وليست الانتقام الخام.

عزاء الشهادة: أفق وراء الأفق

حيث يرى البشر خسارة لا يمكن استردادها، يكشف القرآن عن أفق مختلف:

> وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ
> - سورة آل عمران 3:169-171

هذا ليس مجرد تعزية بل تحدٍ إسخاتولوجي. الذين قُتلوا ظلمًا ليسوا مجرد هوامش في التاريخ بل أبطال في الأبدية. فرحهم هو توبيخ لقاتليهم، ورفعتهم هي تبرير لمعاناتهم.

هذا الإيمان غذّى المقاومة من المسلمين الأوائل الذين عُذبوا في مكة إلى **صمود** الفلسطينيين اليوم. في غزة، حيث يُشرَّد الملايين ويطارد المجاعة الناجين، الاقتناع بأن الشهداء أحياء عند ربهم ليس هروبًا بل بقاء. إنه يحول الحزن إلى صبر، والأنقاض إلى مذابح الشهادة.

ومع ذلك، فإن وعد القرآن لا يمحو الألم البشري. تبكي العائلات، تنوح الأمهات، يدفن الآباء أبناءهم. الاستجابة الأولى هي الحزن، النحيب، والغضب - لأن الحب يقاوم الانفصال. لكن بين الشعب الفلسطيني، غالبًا ما يتحول هذا الحزن إلى شيء آخر: إدراك أن أحباءهم قد أُنقذوا من معاناة إضافية في أنقاض غزة، قبول لإرادة الله، وأمل صبور بلقاء في الآخرة.

إيمانهم يعيد صياغة الموت ليس فقط كخسارة بل كتحرير - تحرير من عذاب الأرض، وتحرير إلى رحمة الله. هذا هو السبب في أن الجنازات في غزة، على الرغم من أنها غارقة في الدموع، تتردد فيها صيحات **الله أكبر**. إنها رثاء وتأكيد في آن واحد: شعب يختار الثقة بأن الشهداء لم يُدمروا بل كُرموا، ليسوا غائبين بل منتظرين.

هذا أيضًا جزء من المفارقة: بينما يرفض الله كسر قانونه لوقف القتل، فإنه يرفض أيضًا التخلي عن ضحاياه إلى العدم.

نقاء الله الأخلاقي: صدى الدم غير المكفر

بعد آخر من المفارقة هو النقاء الإلهي. برفضه التدخل من خلال القتل، يترك الله الذنب بالكامل على عاتق الجناة. كل رصاصة تُطلق، كل قنبلة تُسقط، كل طفل يُجوع - العار ينتمي إليهم وحدهم.

> فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ
> - سورة الزلزلة 99:7-8

اليوم، تراب غزة مشبع بالدماء، والصرخة ليست صوت أخ واحد بل صوت مئات الآلاف. **دماء 680,000 بريء تصرخ إلى الله من أرض غزة - كما صرخ دم هابيل ذات مرة من التربة إلى السماء.**

> صَوْتُ دَمِ أَخِيكَ يَصْرُخُ إِلَيَّ مِنَ الأَرْضِ. مَاذَا فَعَلْتَ؟
> - تكوين 4:10

في يوم القيامة، سيصبح الجسد نفسه مدعيًا عامًا، يخون صاحبه:

> يَوْمَئِذٍ نَخْتِمُ أَفْوَاهَهُمْ وَتَتَكَلَّمُ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ
> - سورة يس 36:65

وما ينتظر المذنبين هو عذاب بلا راحة:

> يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ
> - سورة إبراهيم 14:17

التلمود لا يترك مجالًا للشك:

> الأشرار... ليس لهم نصيب في العالم الآتي.
> - سنهدرين 90أ

عبر التقاليد، الحكم بالإجماع: مثل هذه الذبح الجماعي ليس مجرد خطيئة يتم تطهيرها في جهنم بل **إساءة لاسم الله نفسه.** إنه ينتهك **بيكواخ نيفش** - الأمر بإعطاء الأولوية لإنقاذ الحياة - ويسخر من الحقيقة أن البشر خُلقوا **بتسيلم إلوهيم** - على صورة الله. إنه تحدٍ علني لوصاياه وتدنيس يؤدي إلى الاستبعاد الأبدي.

إدانة الصمت: المتفرجون كشركاء في الجريمة

لكن المفارقة تمتد أبعد من ذلك: رفض الله كسر قانونه الخاص يعني أن العالم يُختبر، والمتفرجون يُكشفون. الكتاب المقدس يدين ليس فقط الجناة بل أولئك الذين يرون ولا يفعلون شيئًا:

> وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ
> - سورة الأعراف 7:179

هذا صاعقة ضد "الأنعام" في التاريخ - الحكومات التي تعارض وقف إطلاق النار، الإعلام الذي يساوي بين "الطرفين"، المواطنون الذين يمررون الأنقاض. الحياد في مواجهة المذبحة هو تواطؤ.

يقول التلمود: **كول يسرائيل عريفيم زيه بازيه** - "كل إسرائيل مسؤولون عن بعضهم البعض". في الروح، هذا عالمي: البشرية كلها مترابطة في المسؤولية. الصمت ليس حيادًا؛ إنه خيانة.

مفارقة القوة العظمى في غزة

هنا تشتد المفارقة: الله قادر على كل شيء، لكنه يقيد نفسه بقانونه الأخلاقي. لن يرتكب القتل لوقف القتل. لن يرتكب الظلم لوقف الظلم. بدلاً من ذلك، يسمح للشر البشري بكشف نفسه - وبهذا يحافظ على نقائه الأخلاقي للحكم النهائي.

بالنسبة للشهداء، هذا يعني العزاء: دماؤهم ليست ضائعة بل تحولت إلى شهادة وشرف. بالنسبة للجناة، هذا يعني الإدانة: جرائمهم تصرخ ضدهم، أجسادهم ستشهد، ومصيرهم هو الاستبعاد الأبدي. بالنسبة للمتفرجين، هذا يعني الكشف: صمتهم هو تواطؤ، وحيادهم هو لعنة.

الخاتمة

مفارقة القوة العظمى ليست لغزًا مجردًا بل واقعًا ملموسًا في غزة. إنها تظهر لنا أن قوة الله ليست اعتباطية بل مبدئية. لقد اختار التقييد، وفي هذا التقييد يكمن العزاء للأبرياء والإدانة للمذنبين.

بالنسبة للجناة، ستشهد أجسادهم ضدهم، وعذابهم لا نهائي، وجرائمهم ترددها الأرض نفسها. بالنسبة للمتفرجين، الصمت نفسه هو اللعنة. بالنسبة للشهداء، هناك حياة وراء الموت، وفرح وراء الحزن.

من أنقاض غزة لا يرتفع دليل على غياب الله بل حقيقة مزدوجة: أن قسوة الإنسان حقيقية، وأن عدالة الله لا مفر منها. السؤال الذي يبقى هو ما إذا كنا، نحن الذين ما زلنا نتنفس، سنتعرف على المفارقة - ونعيش وفقًا لقانون الحياة الذي وضعه الله: لإنقاذ بدلاً من القتل.